منازل الطريق
وأثرها على العبادة والسلوك

أ.د. داود صالح عبدالله
صهيب داود صالح

ملخص البحث

كان البحث بعنوان (منازل الطريق وأثرها على العبادة والسلوك عند الإمام ابن القيم) يهدف إلى بيان منازل الطريق، التي يسلكها السائرون في طريقهم إلى الله تعالى، على المنهج الذي ذكره الإمام ابن القيم في مؤلفاته، والتي تبدأ باليقظة من الغفلة، التي تلف الإنسان، فيتنبه إلى نفسه، وبأنه قد ظل الطريق، وبعد عن المسير، ثم إذا تنبه لذلك، ستنقله هذه اليقظة، إلى أن يبدأ بالتفكر فيما حوله من الموجودات، التي ستقوده لا محاله إلى خالقها وموجدها، وسينتقل بعد ذلك، من خلال التفكر، إلى رؤية وإدراك الأمور على حقائقها، وهي ما تسمى بمنزلة التبصر، فإذا تبصر بالحقائق، سوف يرى أن كل الموجودات موجدها واحد، ومدبرها واحد، ويرجع أمرها جميعا إلى واحد، وسيحدث له هذا الحال بأن يعيش بقلبه وروحه وعقله مع هذا الواحد، وهو الله تعالى، فيكون على الدوام ذاكرا له لا لغيره، متجها له لا لغيره، مريدا له لا مريدا غيره، وهذه هي منزلة التذكر، وهي المطلب الذي يحقق للإنسان سعادة الدارين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدلله الذي هدانا إلى السبل التي نسلكها للوصول إلى معرفة الله، ووهب لنا العقل المفكر، والدلائل التي بها نعرف منازل الطريق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي عرفنا أخصر طرق الوصول، وطلب المكرمات عن طريق المعرفات، وعلى آله وأصحابه، الذين جدوا في النظر والتفكر الذي صير المسموع عندهم منظورا فزادهم معرفة وتحقيقا.

سبب اختيار البحث:

لما كان مطلب السعادة مطلباً لكل الموجودات ومنها الإنسان، فهو ينشد السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، ولما كانت تلك السعادة متوقفة على معرفة الله، تعينت أهمية معرفة الله سبحانه وتعالى، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وأنه متفرد بكل ذلك، وأن بيده وحده الخلق والأمر والسعادة الأبدية، أدرك أنه لابد من التقرب إلى الله لغرض طلب تلك الحاجات التي تحقق السعادات، ولا يتم ذلك التقرب إلا بالمعرفة، التي ننتقل بها في إيماننا من التقليد إلى التحقيق ومن الإجمال إلى التفصيل، ولما كانت لهذه المعرفة منازل، لابد من الترقي فيها على الترتيب الذي وضعه اهل العلم، الذي ساروا في الطريق وخبروه، كان هذا البحث متناولا منازل الطريق وأثرها على عبادة الإنسان وسلوكه .

ومن الصعوبات التي واجهتني في كتابة البحث:

هو أن علم المعرفة علم وجداني في بعض جوانبه، فقد لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن كل ما تدركه بصيرته، فطلب هذا العلم لا يعتمد كله على النقل[١]، ولذا من طلبه عليه أن يعرف أن من طرقه صحبه أهله، لأن ما ينقل عنهم هو ما نطقت به ألسنتهم، لكن ما ظهر على أحوالهم من أنوار وما حفت بكلماتهم من أحوال وغير ذلك فليس بابه النقل، وإنما بابه الصحبة، ولهذا كانت الصحبة من أعظم طرق نقل الأحوال، بينما باب البحوث هو باب المنطوق.

وأما خطة البحث:

وقد اقتضتْ خطة البحث تقسيمَه إلى تمهيد وخمسة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول: منزلة اليقظة.

المطلب الثاني: منزلة التذكر.

المطلب الثالث: منزلة التبصر.

المطلب الرابع: منزلة التفكر.

المطلب الخامس: نتائج المعرفة على السلوك والعبادة.

الخاتمة : وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) يقول الإمام الغزالي في معرض كلامه عن هذا العلم: وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب، ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، (د: ت)، (٢٠/١).

تمهيد

تعريف المنزلة لغة: المنزلة في اللغة هي المرتبة، جاء في مختار الصحاح: (والمنزلة أيضا المرتبة)[١].

أما اصطلاحا: قال الطبري[٢] في تعريف المنزل: (يقال.. وللموضع الذي ينزل فيه:"منزل"، ثم يجمع:"منازل)[٣]، فالمنزل اصطلاحا: هو الموضع الذي ينزل فيه.

تعريف الطريق لغة: الطريق السبيل يذكر ويؤنث تقول الطريق الأعظم والطريق العظمى والجمع أطرقة و طرق،... و طريقة الرجل مذهبه يقال ما زال فلان على طريقة واحدة أي: على حالة واحدة[٤].

وتعريف الطريق اصطلاحاً: الطريق السبيل.[٥] فلا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

الصراط في اللغة: (الصراط و السراط والزراط الطريق)[٦]

والصراط في الاصطلاح: الطريق[٧].

---

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (ت: ٧٢١هـ)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥، ط: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر، (٢٧٣/١).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامام أبو جعفر الطبري، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، وقد كانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلاثمائة. البداية والنهاية ط الفكر (١١/ ١٤٥-١٤٦).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المسمى تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، (ت: ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت – ١٤٠٥هـ، (٢/ ٥١٩).

(٤) ينظر مختار الصحاح، (١٦٤/١).

(٥) المطلع على أبواب الفقه / المطلع على أبواب المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبدالله، دار النشر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، (١٣/١).

(٦) مختار الصحاح، (١٥١/١) وينظر لسان العرب (٣٤٠/٧).

(٧) المطلع على أبواب الفقه / المطلع على أبواب المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبدالله، دار النشر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، (١٣/١).

وممن تكلم في مقامات السير إلى الله، الشيخ أبو بكر الكتاني[١]، وبين أن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة، وهي عند الإمام الهروي مئة مقام مقسومة على عشرة أقسام، وجميع هذه المقامات تجمعها رتب ثلاث:

الرتبة الأولى: أخذ القاصد في السير

الرتبة الثانية: دخوله في الغربة

الرتبة الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء[٢].

وهي عند الإمام ابن القيم أربع مراحل تبدأ بالتيقظ ثم التفكر ثم التبصر ثم التذكر[٣]، وسأسير في بحثي هذا على هذا التقسيم.

ولابد من الوقوف على منهج الإمام ابن القيم[٤] في تقسيم المراحل في السير إلى الله سبحانه وتعالى تبدأ بالتيقظ ثم التفكر ثم التبصر ثم التذكر، وإليك أقواله:

يقول ابن القيم: فأول منازل العبودية اليقظة، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، ولله ما أنفع هذه الروعة، وما أعظم قدرها وخطرها، وما أشد إعانتها على السلوك، فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة فإذا

---

(١) أَبُو بكر الكتاني الصُّوفِي مُحَمَّد بن عَليّ بن جَعْفَر ابو بكر الكتاني) أَصله من بَغْدَاد وجاور بِمَكَّة حَتَّى مَاتَ بهَا سنة اثْنَتَيْنِ وَثَلَاث مائَة كَانَ من خِيَار مَشَايِخ الصُّوفِيَّة وَأحد الْأَئِمَّة الْمشَار إِلَيْهِم فِي عُلُوم الْحَقَائِق والزهد وَالْعِبَادَة. الوافي بالوفيات (٤/ ٨٣).

(٢) ينظر منازل السائرين، عبدالله الأنصاري الهروي، (ت: ٤٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (١/٥-٧).

(٣) ينظر مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م، ط: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، (١/١٢١).

(٤) هو الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، وابن قيمها، ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، ذكره ابن كثير في حوادث سنة سبع مئة وإحدى وخمسين. ينظر البداية والنهاية ط الفكر (١٤/ ٢٣٤).

انتبه شمر لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى وأوطانه التي سبى منها، فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم، ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم.

فأخذ في أهبة السفر، فانتقل إلى منزلة العزم وهو العقد الجازم على المسير ومفارقة كل قاطع ومعوق ومرافقة كل معين وموصل وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه وبحسب قوة عزمه يكون استعداده، فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة الفكرة وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملا ولما يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه. ثم قال: فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعد الله في هذه لأوليائه وفي هذه لأعدائه. ثم قال: فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأى عين فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم وهذا معنى قول بعض العارفين: البصيرة تحقق الإنتفاع بالشيء والتضرر به، وقال بعضهم: البصيرة ما خلصك من الحيرة إما بإيمان وإما بعيان.(١)

فقوله: وما أشد إعناتها على السلوك، هو إشارة إلى أن السلوك هو نتيجة من نتائج معرفة الله. ثم يبين المراحل التي تلي اليقظة وهي: التفكر الذي ينتج التبصر ثم ينتهي بالتفكر، **فيقول:**

١- تأمل كيف وحد سبحانه الآية من قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً

(١) ينظر مدارج السالكين، (١/١٢٣-١٢٤).

لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١] فأما توحيد الآية، فلأن موضع الدلالة واحد وهو الماء الذي انزله من السماء، فاخرج به كلما ذكره من الأرض وهو على اختلاف أنواعه لقاحه واحد، وأمه واحدة، فهذا نوع واحد من آياته، وأما تخصيصه ذلك بأهل الفكر؛ فلأن هذه المخلوقات التي ذكرها من الماء موضع فكر، وهو نظر القلب وتأمله لا موضع نظر مجرد بالعين، فلا ينتفع الناظر بمجرد رؤية العين حتى ينتقل منه إلى نظر القلب في حكمة ذلك وبديع صنعه والاستدلال به على خالقه وباريه وذلك هو الفكر بعينه. [٢]

٢-أما قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣] فجمع الآيات؛ لأنها تضمنت الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهي آيات متعددة مختلفة في أنفسها وخلقها وكيفياتها فإن إظلام الجو لغروب الشمس ومجيء الليل الذي يلبس العالم كالثوب ويسكنون تحته آية باهرة، ثم ورد جيش الضياء يقدمه بشير الصباح، فينهزم عسكر الظلام وينتشر الحيوان وينكشط ذلك اللباس بجملته آية أخرى، ثم في الشمس التي هي آية النهار، آية أخرى، وفي القمر الذي هو آية الليل آية اخرى، وفي النجوم آيات أخر كما قدمناه هذا مع ما يتبعها من الآيات المقارنة لها من الرياح واختلافها وسائر ما يحدثه الله بسببها آيات أخر، فالموضع موضع جمع، وخص هذه الآيات بأهل العقل؛ لأنها أعظم مما قبلها وأدل وأكبر والأولى كالباب لهذه فمن استدل بهذه الآيات وأعطاها حقها من الدلالة استحق

(١) النحل: آية: ١٠- ١١.
(٢) ينظر مفتاح دار السعادة(٢١٢/١).
(٣) النحل: آية: ١٢.

من الوصف ما يستحقه صاحب الفكر، وهو العقل ؛ ولأن منزله العقل بعد منزلة الفكر فلما دلهم بالآية الأولى على الفكر نقلهم بالآية الثانية التي هي أعظم منها إلى العقل الذي هو فوق الفكر فتأمله. (١)

٣-فأما قوله في الآية الثالثة: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾(٢) فوحد الآية وخصها بأهل التذكر فأما توحيدها فكتوحيد الأولى سواء فإن ما ذرأ في الأرض على اختلافه من الجواهر والنبات والمعادن والحيوان كله في محل واحد فهو نوع من أنواع آياته وإن تعددت أصنافه وأنواعه وأما تخصيصه إياها بأهل التذكر فطريقة القرآن في ذلك إن يجعل آياته للتبصر والتذكر كما قال تعالى في سورة ق: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾(٣) فالتبصرة: التعقل، والتذكرة: التذكر، والفكر باب ذلك ومدخله، فإذا فكر تبصر، وإذا تبصر تذكر، فجاء التذكير في الآية لترتيبه على العقل المرتب على الفكر، فقدم الفكر إذ هو الباب والمدخل، ووسط العقل، إذ هو ثمرة الفكر ونتيجته، وأخر التذكر، إذ هو المطلوب من الفكر والعقل فتأمل ذلك حق التأمل(٤).

---

(١) ينظر مفتاح دار السعادة(٢١٣/١).

(٢) النحل: آية: ١٣.

(٣) ق: آية: ٧- ٨.

(٤) ينظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د: ت)، (٢١٢/١-٢١٤).

ففي النص الأول بين أن أو منزل من منازل العبودية، هي اليقظة، فإذا استيقظ، أوجبت له اليقظة الفكرة، ثم بين أنه إذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة، ثم بين في النص الثاني المنزلة التي تلي منزلة البصيرة وهي التذكر، فقال: وإذا تبصر تذكر. وسنبحث كل منزلة في مطلب خاص من خلال تعريفها، وأهميتها، ونتائجها.

المطلب الأول

منزلة اليقظة

وفيه ثلاث مسائل: المسألة الأولى تعريفها لغة واصطلاحا. المسألة الثانية: أهمية اليقظة. المسألة الثالثة: نتيجة اليقظة.

المسألة الأولى: تعريف اليقظة لغة واصطلاحا:

اليقظة في اللغة: ي ق ظ رجل **يقظ** بضم القاف وكسرها أي: متيقظ حذر و**أيقظه** من نومه نبهه **فتيقظ** و **استيقظ** فهو **يقظان** والاسم **اليقظة** بفتحتين(١).

واليقظة في الاصطلاح: هي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين(٢).

المسألة الثانية: حقيقة اليقظة وأهميتها.

واليقظة هي ثلاثة أشياء:

الأول: لحظ القلب إلى النعمة على الإياس من عدها، والوقوف على حدها، والتفرع إلى معرفة المنة بها، والعلم بالتقصير في حقها.

والثاني: مطالعة الجناية، والوقوف على الخطر فيها، والتشمر لتداركها، والتخلص من ربقها، وطلب النجاة بتمحيصها.

والثالث: الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان في الأيام، والتنصل عن تضييعها، والنظر إلى الضن بها ليتدارك فائتها ويعمر باقيها.

فأما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء بنور العقل وشيم برق المنة والاعتبار بأهل البلاء.

---

(١) ينظر مختار الصحاح، (٣١٠/١).

(٢) ينظر مدارج السالكين، (١٢٣/١).

وأما مطالعة الجناية فإنها تصح بثلاثة أشياء، بتعظيم الحق، ومعرفة النفس، وتصديق الوعيد. وأما معرفة الزيادة والنقصان في الأيام، فإنها تستقيم بثلاثة أشياء، بسماع العلم، وإجابة دواعي الحرمة، وصحبة الصالحين، وملاك ذلك كله خلع العادات(١). قال الله عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾(٢).

والرغبة على ثلاث درجات الدرجة: الأولى رغبة أهل الخبر تتولد من العلم فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود وتصون السالك من وهن الفترة وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص(٣).

وتأتي أهمية اليقظة من كونها هي النقطة الأولى التي يدرك فيها الإنسان بتقصير، وحاجته للعلاج، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾(٤) قال الإمام الهروي: القومة لله: هي اليقظة من سنة الغفلة، والنهوض من ورطة الفترة، وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه(٥).

المسألة الثالثة: نتائج اليقظة:

من نتائج اليقظة أنها هي الخطوة الأولى التي تجعل الإنسان يدرك أنه على حال من التقصير، ولابد عليه أن يتدارك حال نفسه، فالمستيقظ متنبه من الحال الذي هو عليه، ومتحفز للعلاج، الذي ينبغي أن يسلكه.

---

(١) ينظر منازل السائرين، (١/١١- ١٣).
(٢) الأنبياء: آية: ٩٠.
(٣) ينظر منازل السائرين (١/٣٥).
(٤) سبأ: آية: ٤٦.
(٥) ينظر منازل السائرين، (١/١١- ١٣).

المطلب الثاني

منزلة التفكر

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى تعريفه لغة واصطلاحا. المسألة الثانية: أهمية التفكر وفضائله وأنواعه ونماذج تفكر.. المسألة الثالثة: نتيجة التفكر.

المسألة الأولى تعريفه لغة واصطلاحا:

تعريفه لغة:

ف ك ر التفكر: التأمل، والاسم: الفكر و الفكرة، والمصدر: الفكر بالفتح، وبابه: نصر، و أفكر في الشيء و فكر فيه بالتشديد و تفكر فيه بمعنى، ورجل فكير بوزن سكيت كثير التفكر(١).

وقيل: الفِكْرُ، بالكسر ويُفْتَحُ: إعمالُ النَّظَرِ في الشيءِ. (٢)

التفكر اصطلاحا: التماس الغايات من مباديها.

وقيل: التفكر طلب القلب ما ليس بحاصل من العلوم من أمر هو حاصل منها هذا حقيقته(٣).

المسألة الثانية: أهمية التفكر وفضائله وأنواعه ونماذج تفكر.

تأتي أهمية التفكر من كونه الطريق الذي نحصل من خلاله استجلاب المفقود عن طريق الموجود، وهو الذي يقود إلى التبصر والنظر إلى الأشياء بحقائقها، فبه تحيا القلوب وتفتح الآذان وتصفو النفوس.

---

(١) مختار الصحاح، (٢١٣/١).
(٢) القاموس المحيط (ص: ٤٥٨) .
(٣) مدارج السالكين ، (٤٤١/١).

يقول ابن القيم في مفتاح دار السعادة:(فالتفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد، فان التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له وتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها من فاضلها، وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله، وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه، والفرق بين الوهم والخيال المانع لأكثر النفوس من انتهاز الفرص بعد إمكانها، وبين السبب المانع حقيقة فيشتغل به دون الأول، فما قطع العبد عن كماله وفلاحه وسعادته العاجلة والآجلة قاطع أعظم من الوهم الغالب على النفس، والخيال الذي هو مركبها، بل بحرها الذي لا تنفك سابحة فيه، وإنما يقطع هذا العارض بفكرة صحيحة، وعزم صادق يميز به بين الوهم والحقيقة)[١].

فضائل التفكر:

١- روى ابن أبي شيبة عن محمد بن فضيل[٢] عن العلاء عن الحسن قال: (**تفكر** ساعة خير من قيام ليلة)[٣].

٢- عن عون بن عبد الله بن عتبة يقول: سألت أم الدرداء، ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة، (١/١٨٠-١٨١).

(٢) ابن غزوان، الإِمَامُ، الصَّدُوْقُ، الحَافِظُ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الضَّبِّيُّ مولاهم، الكوفي، مصنف كتاب "الدعاء"، وكتاب "الزاهد"، وَكِتَابِ "الصِّيَامِ"، وَغَيْرِ ذَلِكَ، سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٥٧٧).

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، (ت: ٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ط: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (١٩١/٧) رقم الحديث (٣٥٢٢٣).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط: الرابعة.(٢٠٨/١).

٣- قال عمر بن عبدالعزيز: الكلام بذكر الله حسن والفكرة **في** نعم الله أفضل العبادة[١].

أنواع أبواب التفكر:

يقول ابن القيم في الفوائد وهو يتكلم عن طرق تحصيل المعرفة بالله: (... ولهذه المعرفة بابان واسعان:

١- باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله.

٢- والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه.

وجماع ذلك، الفقه في معاني أسمائه الحسنى، وجلالها وكمالها، وتفرده بذلك وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيها في أوامره ونواهيه فقيها في قضائه وقدره فقيها في أسمائه وصفاته فقيها في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[٢].

ويقول أيضا: البيان نوعان: بيان بالآيات المسموعة المتلوة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله وصدق ما أخبرت به رسله عنه، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكير في آياته المشهودة[٣].

يتحصل من كلام ابن القيم أن الطرق التي تعرف العبد بربه تكون بالآيات المسموعة والمشهودة، وبمعاني أسمائه.

---

(١) حلية الأولياء، (٣١٤/٥).
(٢) الفوائد، (١٧٠/١).
(٣) ينظر مدارج السالكين، (٤٢/١).

نماذج من الآيات المسموعة التي دعا الله عز وجل الناس للتفكر بها:

أولاً: الآيات المسموعة وهي القرآن الكريم:

١- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

٢- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

٣- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٣).

٤- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤).

ثانياً: الآيات المشهودة:

إنَّ أسمى عبادة على الإطلاق التفكر في خلق السموات والأرض؛ لأن التفكر أوسع باب ندخل منه على الله، فندرك عظمته، فإذا عرفت الآمر تفانيت في طاعة الأمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر.

---

(١) آل عمران: آية: ٢٦ – ٢٧.

(٢) يونس: آية: ٣.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) الحديد: آية: ٣-٤.

من هو الله؟ الذي أمرك أن تصلي ماذا عنده لو أطعته؟، ماذا ينتظرك لو عصيته؟ كلما عرفت الآمر خضعت له، وكلما ضعفت معرفتك بالآمر تأبيت أن تطيعه، علامة معرفتك بالله طاعتك له، وأي ضعف للطاعة دليل ضعف في الإيمان.

نموذج تفكر تطبيقي في الكون المشهود:

يقول ابن القيم في مفتاح دار السعادة: والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان:

١- نظر إليها بالبصر الظاهر، فيرى مثلا زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها وهذا نظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات وليس هو المقصود بالأمر.

٢- الثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها، وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب، حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته، ويرى السموات السبع والارضين السبع بالنسبة إليه كحلقه ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حوله، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزاز قوم وإذلال آخرين، وإسعاد قوم وشقاوة آخرين، وإنشاء ملك وسلب ملك وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها، من جبر كسر وإغناء فقير، وشفاء مريض وتفريج كرب، ومغفرة ذنب وكشف ضر، ونصر مظلوم وهداية حيران، وتعليم جاهل ورد آبق، وأمان خائف وإجارة مستجير، ومدد لضعيف وإغاثة الملهوف، وإعانة لعاجز وانتقام من ظالم، وكف العدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا

تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن، مطرقا لهيبته خاشعا لعظمته مذعن لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فيا له من سفر ما أبركه وأروحه وأعظم ثمرته وربحه واجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة وغنيمته العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب.(١)

نماذج من النصوص القرآنية التي تدعو الإنسان إلى النظر في الكون لغرض الانتقال بالإيمان من الإجمال إلى التفصيل ومن التقليد إلى التحقيق المبرهن.

١- ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السماء مِن ماء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السماء وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

٢- ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٣).

إن أثار أسماء الله تعالى المبثوثة في كل ذرة من ذرات الكون، بدأ من الذرة وانتهاء بالمجرة، تكون ظاهرة للعيان، لأصحاب البصائر، الذين يديمون النظر

(١) ينظر مفتاح دار السعادة، (١/١٩٩).
(٢) البقرة: آية: ١٦٣-١٦٤.
(٣) فصلت: آية: ٥٣.

والتفكر[١] في خلق الله، فهم يزدادون ثقة بعظمة الله، في كل جولة من جولات أفكارهم، وفي كل لحظة تبصر من بصائرهم، فإذا حصلت تلك الصورة في أذهانهم، فسوف يجدون أنفسهم مشدودة لتلك القوة التي تتصف بهذه الصفات، محبة لها، وطمعا بما عندها، وخوفا من فقدان الصلة بها.

أما الذين عميت بصائرهم عن تلك الحقيقة، فهم يقفون عند باب الأسباب، التي هي ستار لأثار تلك الصفات، فهم منقطعوا الصلة بالفاعلية الأولى الواحدة، فتعظم في نفوسهم الأسباب فيعبدونها خضوعا وخشية ومحبة وتقرباً.

٣- وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت هذه الآية على النبي قام يصلى، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فرآه يبكي فقال: يا رسول الله، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! فقال: "يا بلال، أفلا أكون عبدا شكورا؟ ولقد أنزل الله على الليلة آية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢] ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها[٣].

---

(١) يقول الجرجاني: التفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، التعريفات (٨٨/١).

(٢) آل عمران: آية: ١٩٠.

(٣) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الوفاة: ٣٥٤هـ، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ط: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (٣٨٦/٢)، باب البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات، رقم الحديث (٦٢٠) قال المحقق صحيح على شرط مسلم.

المسألة الثالثة: نتيجة التفكر.

نتيجة التفكر قراءة أسماء الله في صحائف المخلوقات.

يقول ابن القيم: فإن المخلوق يدل على وجود خالقه، على حياته وعلى قدرته وعلى علمه ومشيئته، فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا، وما فيه من الإتقان والإحكام، ووقوعه على أكمل الوجوه يدل على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدل على رحمة خالقه وإحسانه وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدل على أن خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحق بالكمال وخالق الأسماع والأبصار والنطق أحق بأن يكون سميعا بصيرا متكلما، وخالق الحياة والعلوم والقدر والإرادات أحق بأن يكون هو كذلك في نفسه، فما في المخلوقات من أنوع التخصيصات هو من أدل شيء على إرادة الرب سبحانه ومشيئته وحكمته التي اقتضت التخصيص.

وحصول الإجابة عقيب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات، وعلى سمعه لسؤال عبيده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم.

والإحسان إلى المطيعين والتقرب إليهم والإكرام وإعلاء درجاتهم يدل على محبته ورضاه، وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب والسخط، والإبعاد والطرد والإقصاء يدل على المقت والبغض.

فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته فهو يثبت العلم بربوبيته ووحدانيته وصفات كماله بآثار صفته المشهودة والقرآن مملوء بذلك.

فيظهر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق، وشاهد اسم الرازق من وجود الرزق والمرزوق، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في العالم، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدرار لا ينقطع لحظة واحدة، واسم الحليم من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم، واسم الغفور والتواب من مغفرة الذنوب وقبول التوبة، ويظهر شاهد اسمه الحكيم من العلم بما في خلقه وأمره من الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره، يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته[١].

ويقول ابن القيم في طريق الهجرتين: فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب، وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه، غير تعب ولا مكدود، ولا مشتت عن وطنه، ولا مشرد عن سكنه، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، وليس العجب من سائر في ليله ونهاره وهو في الثرى لم يبرح من مكانه، وإنما العجب من ساكن لا يرى عليه أثر السفر وقد قطع المراحل والمفاوز[٢].

(١) ينظر مدارج السالكين، (٣/٣٥٤-٣٥٥).

(٢) ينظر طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٤ - ١٩٩٤، ط: الثانية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (١/٣٣٤-٣٣٥).

المطلب الثالث

منزلة التبصر

وفيه ثلاث مسائل: المسألة الأولى: تعريف التبصر لغة واصطلاحا، المسألة الثانية: الاستبصار في القرآن الكريم، المسألة الثالث: حقيقة التبصر وفوائده.

المسألة الأولى:

تعريف التبصر لغة: التبصر: التأمل والتعرف، و التبصير: التعريف والإيضاح، والمبصرة: المضيئة ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾[١] قال الأخفش: معناه أنها تبصرهم أي تجعلهم بصراء، والمبصرة بوزن المتربة: الحجة[٢].

التبصر في الاصطلاح: البصيرة: نور يقذفه الله في القلب، يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل، كأنه يشاهده رأى عين[٣].

فالمتفكر: ينتقل من المقدمات والمبادئ التي عنده، إلى المطلوب الذي يريده.

وإذا عرفت معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى، يتبصر بها من عمى القلب، ويتذكر بها من غفلته، فان المضاد للعلم إما عمى القلب، وزواله بالتبصر، وإما غفلته وزواله بالتذكر، والمقصود تنبيه القلب من رقدته بالإشارة إلى شيء من بعض آيات الله[٤].

---

(١) النمل: آية: ١٣.

(٢) مختار الصحاح، (٢٢/١).

(٣) مدارج السالكين، (١٢٤/١).

(٤) مفتاح دار السعادة، (٢١٢/١- ٢١٤).

المسألة الثانية: الاستبصار في القرآن الكريم:

واستبيان الحقائق والسعي وراء توضيحها من خصائص المؤمنين، الذين هم على بصيرة من أمرهم، فلا يتبعون الأهواء ولا يميلون مع كل ريح، ولا يكتفون بالظنون والفرضيات وإنما يسعون نحو اليقين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١).

والقرآن بصائر ورؤى، ومن اتبعها استطاع مشاهدة الحق، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾(٢).

والسبيل إلى التبصر رفع غشاوة الوساوس، واختراق حجب الشهوات، وتذكر الحقائق بعد الغفلة عنها، قال الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٣).

نموذج تبصر قرآني:

والنظر الذي يوصل إلى اليقين هو نظر البصيرة: يقول الرازي: إنه تعالى كما قال في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٤)، فكذلك قال في حق هذه الأمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

(١) يوسف: آية: ١٠٨.
(٢) الأنعام: آية: ١٠٤.
(٣) الأعراف: آية: ٢٠١
(٤) الأنعام: آية: ٧٥.

﴿الْحَقُّ﴾ (١)، فكما كانت هذه الإراءة بالبصيرة الباطنة لا بالبصر الظاهر، فكذلك في حق إبراهيم لا يبعد أن يكون الأمر كذلك.

ثم قال:.... أنه عليه السلام لما تمم الاستدلال بالنجم والقمر والشمس، قال بعده: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

فحكم على السموات والأرض بكونها مخلوقة لأجل الدليل الذي ذكره في النجم والقمر والشمس، وذلك الدليل لو لم يكن عاماً في كل السموات والأرض لكان الحكم العام بناء على دليل خاص وأنه خطأ، فثبت أن ذلك الدليل كان عاماً، فكان ذكر النجم والقمر والشمس كالمثال لإراءة الملكوت، فوجب أن يكون المراد من إراءة الملكوت تعريفه كيفية دلالتها بحسب تغيرها وإمكانها وحدوثها على وجود الإله العالم القادر الحكيم فتكون هذه الإراءة بالقلب لا بالعين(٣).

المسألة الثالثة: حقيقة التبصر وفوائده:

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾(٤).

فالتبصر آلة البصر والتذكرة آلة الذكر، وقرن بينهما وجعلهما لأهل الإنابة؛ لأن العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقع الآيات والعبر، فاستدل بها على ما هي آيات له، فزال عنه الإعراض بالإنابة والعمى بالتبصرة والغفلة بالتذكرة؛ لأن التبصرة توجب له

(١) فصلت: آية: ٥٣.
(٢) الأنعام: آية: ٧٩.
(٣) ينظر التفسير الكبير، (٣٦/١٣ – ٣٧).
(٤) ق: آية: ٥٨

حصول صورة المدلول في القلب بعد غفلته عنها، فترتب المنازل الثلاثة أحسن ترتيب، ثم إن كلا منها يمد صاحبه ويقويه ويثمره، قال تعالى في آياته المشهودة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، والناس ثلاثة: رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه، الثاني: رجل له قلب حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه، ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرا، فهذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه، والثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه وألقى السمع وأحضر قلبه ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة، فالأول بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر، والثاني بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه فكلاهما لا يراه، والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره وقابله على توسط من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه، فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصدور، فإن قيل: فما موقع أو من هذا النظم على ما قررت؟ قيل: فيها سر لطيف، ولسنا نقول إنها بمعنى الواو كما يقوله ظاهرية النحاة، فاعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقاد مليء باستخراج العبر واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نورا على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله وأعظمهم إيمانا وبصيرة، حتى كأن الذي أخبرهم به الرسول مشاهد لهم، لكن لم يشعروا بتفاصيله وأنواعه، حتى قيل: إن مثل حال الصديق مع

(١) ق: آية: ٣٦ – ٣٧.

النبي كمثل رجلين دخلا دارا فرأى أحدهما تفاصيل ما فيها وجزئياته، والآخر وقعت يده على ما في الدار، ولم ير تفاصيله ولا جزئياته، لكن علم أن فيها أمورا عظيمة لم يدرك بصره تفاصيلها، ثم خرجا، فسأله عما رأى في الدار، فجعل كلما أخبره بشيء صدقه، لما عنده من شواهده، وهذه أعلى درجات الصديقية، ولا تستبعد أن يمن الله المنان على عبد بمثل هذا الإيمان، فإن فضل الله لا يدخل تحت حصر ولا حسبان، فصاحب هذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نور من البصيرة ازداد بها نورا إلى نوره، فإن لم يكن للعبد مثل هذا القلب فألقى السمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التذكر أيضا فإن لم يصبها وابل فطل[1].

(١) ينظر مدارج السالكين، (١/٤٤٢).

المطلب الرابع

منزلة التذكر

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الذكر لغة واصطلاحا. المسألة الثانية: الذكر في القرآن الكريم. المسألة الثالثة: فوائد الذكر. المسألة الرابعة: الفرق بين التذكر والتفكر.

المسألة الأولى:

تعريفه لغة: الذكر الحفظ للشيء تذكره، والذكر أيضا، الشيء يجري على اللسان، والذكر جري الشيء على لسانك،... وقال الفراء: الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذكر بالقلب، يقال ما زال مني على ذكر أي لم أنسه(١).

الذكر في الاصطلاح: والتذكر تفعل من الذكر، وهو ضد النسيان، وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب(٢).

المسألة الثانية: الذكر في القرآن الكريم:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾(٣)، أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس

(١) ينظر لسان العرب، (٣٠٨/٤).
(٢) ينظر مدارج السالكين، (٤٤١/١).
(٣) الأحزاب: آية: ٤١-٤٣.

والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله[١].ثم قال: من الجهل بالله تعالى إلى معرفته عز وجل، فإن الجهل أشبه بالظلمة، والمعرفة أشبه شيء بالنور[٢].

٢- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣].

المسألة الثالثة: فوائد الذكر:

يبين ابن القيم فوائد الذكر، فيقول:

١- إنه يورثه المراقبة، حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

٢- إنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

٣- إنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

٤- إنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

---

(١) ينظر تفسير الكشاف، (٤٥٤/٥)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د: ط)، (د: ت).

(٢) ينظر روح المعاني، (٤٣/٢٢-٤٤).

(٣) آل عمران: آية: ١٩٠-١٩١.

٥- إنه يورث الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل، فان حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

٦- إنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[١]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)[٢][٣]. يقول الإمام الرازي في فوائد الذكر: إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى: ذكرني عبدي، وفيه أحكام أحدها أنه تعالى قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٤]، فههنا لما أقدم العبد على ذكر الله، لا جرم ذكره تعالى في ملأ خير من ملئه، وثانيها: أن هذا يدل على أن مقام الذكر مقام عال شريف في العبودية؛ لأنه وقع الابتداء به، ومما يدل على كماله، أنه تعالى أمر بالذكر فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٥]، ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٦]، فلم يبالغ في تقرير شيء من مقامات العبودية مثل ما بالغ في تقرير مقام الذكر[٧]. ومن فوائد ذكر الله محبته، يقول شيخ الإسلام: ولا بد من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب إلى الله عز وجل، فتعتصم به فتقل آفاتها أو تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته. فنقول: اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء،

---

(١) البقرة: آية: ١٢٥.

(٢) رواه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، (٣٥٤/٢)، رقم الحديث (٨٦٣٥)، وقال المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) ينظر الوابل الصيب، (٦٢/١).

(٤) البقرة: آية: ١٥٢.

(٥) البقرة: آية: ١٥٢.

(٦) الأحزاب: آية: ٤١.

(٧) ينظر التفسير الكبير، (٢١٨/١).

وأقواها المحبة، وهى مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١)، والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبدا لله لا لغيره.

فإن قيل: فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعثه على طلب محبوبه، فأي شيء يحرك القلوب؟ قلنا يحركها شيئان:

أحدهما: كثرة الذكر للمحبوب؛ لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(٢).

والثاني: مطالعة آلائه ونعمائه، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(٤)، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(٥)، وقال تعالى: تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(٦). فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض وما فيها من الأشجار والحيوان وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره، فلابد أن يثير ذلك عنده باعثا، وكذلك الخوف تحركه مطالعة آيات

(١) يونس: آية: ٦٢.
(٢) الأحزاب: آية: ٤١- ٤٢.
(٣) الأعراف: آية: ٦٩.
(٤) النحل: آية: ٥٣.
(٥) لقمان: آية: ٢٠.
(٦) النحل: آية: ١٨.

الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوه، وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو وما ورد في الرجاء والكلام في التوحيد[١]. فذكر الله ومطالعة آلائه، من أعظم البواعث على محبته.

المسألة الرابعة: الفرق بين التذكر والتفكر:

كل من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الآخر، فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي، فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب، فالتفكر يحصله والتذكر يحفظه.

فضيلة التفكر: فالفكر إذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهذا يكشف لك عن فضل التفكر وشرفه، وأنه من أفضل أعمال القلب وأنفعها له حتى قيل: "تفكر ساعة خير من عبادة سنة" فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة، ومن المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم ورحبه، ومن مرض الشهوة والاخلاد إلى هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور، ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين وثلج الصدور، وبالجملة فأصل كل طاعة إنما هي الفكر[٢].

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى، (١/٩٥-٩٦).

(٢) ينظر مفتاح دار السعادة، (١/١٨١-١٨٩).

المطلب الخامس

أثر المنازل على العبادة والسلوك

عند ابن القيم

١- يعد التيقظ الخطوة الأولى التي تجعل الإنسان يدرك أنه على حال من التقصير أمام خالقه الذي تفضل عليه في كل نعمة عرفها من خلال اليقظة، ولابد عليه أن يتدارك حال نفسه، فالمستيقظ متنبه من الحال الذي هو عليه، ومتحفز للعلاج، الذي ينبغي أن يسلكه، فهي الدافع الأكبر للتحفيز على أداء حق الخالق سبحانه من العبودية.

٢-يعد التفكر هو الطريق الأكبر الذي نحصل من خلاله استجلاب المفقود عن طريق الموجود، وهو الذي يقود إلى التبصر والنظر إلى الأشياء بحقائقها، فبه تحيا القلوب وتفتح الآذان وتصفو النفوس، لتعرف مصدر كل خير، فيقودها هذا الحال إلى الانشغال بأداء الواجب من العبودية تجاه الخالق سبحانه وتعالى .

٣-يعد التبصر العامل الأكبر في بث الروح في عبادتنا من خلال رؤية الأشياء على حقائقا، والتي تقودنا إلى أن ما من صغير في الكون ولا كبير إلا وهو معقود حاله بأمر الله يصرفه كيف يشاء، فيقودنا ذلك إلى تحقيق العبودية التي تقربنا من الله لنحصل على رعايته وولايته لنا لننعم بسلام في ظل هذه الرعاية والولاية في الدنيا والآخرة.

٤-يعد التفكر الدافع الكبير إلى معرفة حق الله على عباده، والذي يدفعنا إلى مقابلة حقه تعالى علينا بالخضوع والتذلل والإنكسار، من خلال تحقيق العبودية له سبحانه وتعالى.

٥-التفكر يجلب الإيمان الدافع إلى السلوك المستقيم: يقول ابن القيم في مفتاح دار السعادة: (فالتفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد، فان التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له وتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها من فاضلها، وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله، وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه، والفرق بين الوهم والخيال المانع لأكثر النفوس من انتهاز الفرص بعد إمكانها، وبين السبب المانع حقيقة فيشتغل به دون الأول، فما قطع العبد عن كماله وفلاحه وسعادته العاجلة والآجلة قاطع أعظم من الوهم الغالب على النفس، والخيال الذي هو مركبها، بل بحرها الذي لا تنفك سابحة فيه، وإنما يقطع هذا العارض بفكرة صحيحة، وعزم صادق يميز به بين الوهم والحقيقة)[١].

٦- التبصر يجعل الإنسان يرى الأشياء على حقائقها، بعد أن يزيل عن العيون الران الذي خيم عليها، يقول ابن القيم: التبصرة توجب له حصول صورة المدلول في القلب بعد غفلته عنها حصول الخوف والزهد بالمعرفة[٢].

يقول ابن القيم: فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأى عين فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم وهذا معنى قول بعض العارفين: البصيرة تحقق الإنتفاع بالشيء والتضرر به، وقال بعضهم: البصيرة ما خلصك من الحيرة إما بإيمان وإما بعيان[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة، (١/١٨٠-١٨١).
(٢) ينظر مدارج السالكين، (١/٤٤٢).
(٣) ينظر المصدر نفسه، (١/١٢٣-١٢٤).

٧-يبين ابن القيم فوائد الذكر، **فيقول:**

- إنه يورثه المراقبة، حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.
- إنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.
- إنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.
- إنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.
- إنه يورث الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل، فان حجاب الهيبة رقيق في قلبه.
- إنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)[2][3].

---

(١) البقرة: آية: ١٢٥.

(٢) رواه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد (٣٥٤/٢) رقم الحديث٨٦٣٥، وقال المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) ينظر الوابل الصيب، (٦٢/١).

الخاتمـــة

النتائج:

١. مراحل الطريق إلى الله تبدأ بالتيقظ، وهو سبب للتفكر، وهو ينتج التبصر، وهو ينتج التذكر.

٢. التيقظ هو الخطوة الأولى، التي تجعل الإنسان يبادر إلى التغيير.

٣. التفكر هو الطريق الأكبر الذي يحصل الإنسان من خلاله على استجلاب المفقود عن طريق الموجود،

٤. التفكر يجلب الإيمان الدافع إلى السلوك المستقيم.

٥. التبصر يجعل الإنسان يرى الأشياء على حقائقها.

٦. الذكر يورث المراقبة والإنابة، والهيبة، والقرب من الله تعالى.

٧. بالترقي في هذه المنازل، يعرف الإنسان ربه.

ومن عرف الله عرف ما يحبه الله، فتقرب إليه به.

ومن عرف الله عرف ما عنده فطمع به وسارع للحصول عليه.

ومن عرف الله عرف أن الحصول على كرمه يكون بتحقيق العبودية فيحققها.

ومن عرف الله عرف قيمة نفسه والمخلوقات جميعا، فلا يتوجه بعبادة لها وإنما يوجه كل تذلله وانكساره إلى الله عز وجل

والمعرفة تأييس من العمل وشعور بالحاجة وملاحظة المنة

ومعرفة الله منشأ كل خير وقطع لكل شر

والمعرفة تقطع العلائق بالخلق وتصلها بالخالق

وبالمعرفة يستعظم الذنب وتستصغر الطاعة، فيغيب الغرور، فيصلح السلوك.

التوصيـــــــات:

١. التأكيد على أهمية التدرج في التربية.

٢. التأكيد على معرفة الله من خلال النظر في القرآن والكون.

٣. الاهتمام بكتب الإمام ابن القيم، وعلى وجه الخصوص كتاب مدارج السالكين، وكتاب مفتاح دار السعادة.

٤. قراءة كتب ابن عطاء، والهروي، والشيخ عبد القادر، والغزالي، وابن تيمية، ومن المفسرين الرازي والزمخشري وروح المعاني والظلال، ومن المحدثين النورسي ومجدي الهلالي.

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١. البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
٢. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
٣. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (ت: ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط: الأولى.
٤. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ط: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
٥. الفوائد، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م، ط: الثانية.
٦. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٨. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، (ت: ٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ط: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
٩. المطلع على أبواب المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله، (ت: ٧٠٩هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، تحقيق: محمد بشير الأدلبي.
١٠. الوابل الصيب من الكلم الطيب، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن القيم، (ت: ٧٥١ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م، ط: الأولى، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض.

١١. الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المسمى تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، (ت: ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط: الرابعة.
١٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، (ت: ٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ط: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
١٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت:٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
١٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ط: الثانية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.
١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط: الأولى.
١٨. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (ت: ٧٢١هـ)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م، ط: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.
١٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، ط: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٢٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١. منازل السائرين، عبدالله الأنصاري الهروي، (ت: ٤٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.